

الموت كما رآه العراقيون

الدكتور خالد عبد الملك النوري

جامعة الكويت - كلية الآداب - قسم التاريخ

الموت كما رآه العراقيون

صاحب الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض، العقل الذي امتاز به عن جميع الكائنات الحية التي وجدت على الأرض. هذا العقل هو الذي جعل الإنسان لا يقتصر في سعيه، من أجل البقاء حياً، على إشباع رغباته وغرائزه المادية فحسب، بل أدى به أيضاً إلى التفكير في الظواهر التي تواجهه سواءً في كنهها أو في الأسباب التي تقف وراءها. وقد كان الموت الظاهرة الأبرز لكونها الأكثر والأخطر تأثيراً على حياة الإنسان، فالموت هو الظاهرة التي تضع حداً لحياته مهما طال به الأجل، تلك الحياة التي طالما جاهد للحفاظ عليها ضد عوادي الزمن. ويوصف الموت، في عصرنا الراهن، وحسب التقاليد الإسلامية، بأنه "هادم الذات"^(١) أي أنه وبالرغم من إيمان المسلمين العميق بأفضلية الحياة الآخرة على الحياة الدنيوية بالنسبة للمؤمنين، فما زال الموت لديهم يحمل وصفاً يدل على أنه ظاهرة غير محبذة.

وقد مرّ التفكير الإنساني بشكل عام خلال بحثه في الظواهر الطبيعية، بعدة مراحل بدءاً بالتفكير الأسطوري البحت الذي يعزو الظواهر الطبيعية إلى قوى خارقة غير مرئية، ومروراً بالتفكير الفلسفي الذي يحاول اتباع المنطق في تفسير الظاهرة دون الاهتمام بالبرهنة عليها علمياً، وانتهاءً بالتفكير العلمي الذي يتقصى الأدلة المحسوسة من أجل الوصول إلى نتائج عن الظاهرة. وسوف نضرب مثلاً على تلك المراحل الثلاث بظاهرة العواصف الرعدية. نرى مثلاً على المرحلة الأولى في التفسير الكنعاني الذي يرى في أن الأمطار يجلبها إله العواصف الرعدية (هدد)، وفي حالة انحباس الأمطار، فإن ذلك يعني أن هذا الإله قد هُزم في معركة أمام إله القحط والجفاف. موت^(٢). تختلف طبيعة التفكير في المرحلة الثانية، ومثال على ذلك التفسير الذي أورده الطبيعيون الميلتسيون عن نفس الظاهرة، إذ يحاولون تفسير زوابع البرق والرعد على أنها ريح كانت حبيسة داخل الغيمة ثم شقتها بقوة وعنف لتتطلق خارجها

لينتج عن ذلك البرق والرعد^(٣). أما العلم الحديث و الذي يميز التفكير الإنساني في مرحلته الثالثة فقد توصل بالبراهين العلمية إلى أن الأمطار ليست سوى ظاهرة طبيعية تتحكم فيها عدة عوامل طبيعية كالموقع الجغرافي والتضاريس واتجاه الرياح.

إن الأمر اللافت للنظر هو أن نماذجاً للمرحلة الأولى من التفكير الإنساني عن تلك الظاهرة وجميع الظواهر الطبيعية الأخرى بما في ذلك الموت، ما تزال تفرض نفسها على قطاع كبير من سكان العالم في عصرنا هذا، على الرغم من تقدم التفكير العلمي، الذي فسّر معظم تلك الظواهر على أسس من الأدلة العلمية المادية المحسوسة. ولهذا يجب ألا نستغرب نمط التفكير الأسطوري الذي استخدمه الإنسان العراقي القديم في تفسيره لظاهرة الموت في العصور القديمة، حيث ساد فيها هذا النمط من التفكير.

يهدف البحث الذي بين أيدينا إلى إلقاء الضوء على صورة الموت في أذهان سكان بلاد ما بين النهرين القدماء. وسوف نستقي المعلومات عن هذا الموضوع من المصادر النصية الأسطورية السومرية والأكادية^(٤)، وبخاصة ملحمة جلجامش، بسبب علاقتها المباشرة بالموضوع^(٥). إن ما دفعنا للبحث في هذا الموضوع هو غموض ما نعرفه عنه مقارنة بالمعلومات الواضحة والمتوفرة عن نظرة المصريين القدماء للموت والكيفية التي تعاملوا بها معه. فنحن نعلم أن المصريين القدماء لم يعتقدوا بانتقال الميت إلى حياة أخرى فحسب، بل إنهم آمنوا أيضاً بوجود مبدأ الحساب: العقاب والثواب بعد الموت. كما نعلم أن المصريين القدماء حرصوا أشد الحرص على إبقاء الجسد سليماً بعد موته، ومما يدل على ذلك ظاهرة تحنيط الموتى، اعتقاداً منهم بأن خلود الروح يرتبط بذلك ارتباطاً وثيقاً. والواقع، فإن الأدلة الأثرية والنصية حول عادات الموت وطقوسه في مصر وفيرة جداً^(٦)، بالمقارنة مع ما نمتلكه من مادة علمية تتعلق بموضوع الموت في بلاد ما بين النهرين. وسوف نحاول التركيز على موضوع الموت اعتماداً على الأدلة النصية من تلك المنطقة، والتي تتركز في النصوص الأدبية الأسطورية أكثر من غيرها^(٧).

من هنا نتقافز، في أذهاننا، بعض التساؤلات عن الموت في نظر العراقي القديم، مثل، كيف يعيش الأموات حياتهم الأخرى في عالمهم الجديد؟ هل هناك محكمة يُحاسِبون أمامها على أعمالهم ثم على ضوءها يُحدد نمط معيشتهم هناك؟ هل يعيش الأموات في حياتهم الأخرى حياة طبيعية، تشبه تلك التي كانوا يحبونها في عالمهم السابق بمحاسنها ومساوئها؟ هل ينتقل الميت إلى ذلك العالم بجسده وروحه معاً أم بروحه فقط؟ سوف نحاول استخلاص بعض المعلومات من المصادر النصية المتوفرة للإجابة عن هذه التساؤلات، ليس حسب ترتيبها بالضرورة، لنخرج بصورة عن تصور العراقيين القدماء عن المصير الذي ينتظر الميت والوصف الذي ينطبق على عالم الأموات.

الفناء والخلود

يتضح من خلال قراءة جميع النصوص الأدبية العراقية القديمة، أن مبدأ الموت مفروض على جميع البشر، ولا مفر منه. ولكن هناك استثناء واحد فقط من ذلك المصير وهو الذي تحقق لبطل أسطورة الطوفان، زيوسدرا، كما يطلق عليه في النص السومري التي يوجد لها نسخة أخرى متأخرة باللغة الأكديّة. ففي نهاية تلك الأسطورة يقرر الآلهة منح الخلود لهذا الرجل مكافأة له على إنقاذه البشرية من الطوفان^(٨).

واصطفى الإلهان أنو وإنليل زيوسدرا،

وهباه الحياة مثل إله،

أدخله النفس الخالد مثل إله.

إن موضوع استثناء بطل الطوفان من تعرض الإنسان لاحتية الفناء كان أمراً شائعاً أيضاً لدى البابليين والآشوريين، في الألف الثاني والأول ق.م. فقد ظهر ذلك واضحاً من النسخة الأكديّة للأسطورة التي تحتل الحيز الأكبر من اللوح الحادي عشر في ملحمة جلجامش. ففي بداية هذا اللوح يبدي جلجامش دهشته أمام الهيئة الإنسانية

الطبيعية لبطل الطوفان رغم تمتعه بالخلود كالآلهة منهياً حديثه كالتالي^(٩):

كيف تسنى لك الانضمام للآلهة؟

أنى لك أن تطالب بالحياة الأبدية؟

تبدو حتمية الموت لدى الإنسان العراقي القديم أكثر وضوحاً من خلال مقاطع أدبية مباشرة وواضحة الإيحاء بهذا المعنى، ورد معظمها في ملحمة جلجامش، وهذا أمر بديهي، لأن المحور الرئيس للملحمة حول موضوع أن الإنسان فإن لا محالة وأن الخلود من نصيب الآلهة فقط، لذلك فإننا نرى أن جلجامش كان مدركاً لهذه الحقيقة في بداية الأسطورة. وكان جلّ ما يصبو إليه هو الخلود المعنوي، أي أن يقوم بأعمال مجيدة لتخليد ذكره بين الأحياء بعد موته وليفخر به أبناؤه من بعده. ويبدو ذلك واضحاً في ردّ على صديقه إنكيكو عندما حاول الأخير تحذيره من التصدي لوحش غابة الأرز القوي الذي لا يقهر. فكان رد جلجامش^(١٠):

من يستطيع أن يعرج إلى السماء يا صديقي؟

فقط الآلهة تقطن مع شمس إلى الأبد.

يستطيع الإنسان أن يحصي أيامه

وما ينجزه ليس سوى ريح.

أتهاب الموت في هذه المناسبة؟

ثم يصل إلى هدفه قائلاً:

إذا سقطت فسوف أحرز الشهرة.

سيقول الناس: لقد جاهد جلجامش في قتاله

مع شديد البأس خاوا

ويؤكد هذا المعنى في مقطع آخر:

دعني أغزو في غابة الصنوبر

وأعطي البلاد سبباً لتدرك

كيف هو ابن أوروك القوي

دعني أباشر العمل وأقطع الصنوبر

(ف) أضمن شهرة تبقى للأبد

ويحاول إقناع صاحبه أنكيدو في مقطع آخر أن الإنسان سوف يخلد ذكراه من خلال أعماله حتى ولو أودت به تلك الأعمال إلى مهاوي الردى:

تمسك بيدي يا صديقي ولننطلق

سوف يحترق قلبك في المعركة؛ انسى الموت و[لا تفكر إلا في] الحياة(؟)

ثم يقول :

ذلك الذي يثب للأمام ويزود عن جسد (صديق)ـه سوف يحافظ على صديقه الوفي
سالمًا

سوف يكونا قد حققا شهرة لـ [مستقبل]هما

وفي أسطورة سومرية تحت عنوان "جلجامش وأرض الأحياء، يعترف جلجامش، وهو يرى كيف أن الناس تموت بطرق مختلفة، بأنه سيواجه نفس المصير مهما بلغ شأواً، ولذا فعليه أن يقوم بعمل يخلد ذكراه قبل أن يحين أجله^(١١)

يموت الرجل في مدينتي محزون القلب،

يهلك الرجل وقلبه منقل بالهموم،

هأنذا أنظر من فوق السور،

فأرى جثث الموتى...تطفو على النهر؛

وسيحل بي نفس المصير بلا ريب.

مهما بلغ الإنسان طولاً، فلن يدرك السماء.

مهما بلغ الإنسان عرضاً، فلن يغطي الأرض

ومادام لم يعلن الختم والآجر النهاية المقدرة

فسوف أدخل الأرض، سوف أضع أسمالي،

في مواضعه حيث تُرفع الأسماء للأعلى سوف أرفع اسمي.

تأكيداً لهذا المعنى، يخاطبه الإله أوتو، في أسطورة سومرية أخرى، عنوانها هو "موت
جلجامش" مفسراً له حلم راوده في المنام فيقول له^(١٢):

إن تفسير حلمك، أيها السيد جلجامش، هو

لقد قرّر مصيرك يا جلجامش للملك، (و) لم يقرر للحياة الأبدية.

(لكن) ... للحياة، لا يحزن فؤادك،

لا تكن محزوناً، ولا تكن مخبطاً....

لقد وهبك السيادة على البشر،

منحك قدرة في النزال لا يتمكن معها أحد فراراً،

أعطاك انقضاضاً لا يباريك به أحد،

زودك بقدرة على الهجوم لا يستطيع معها أحد هروباً.

وهكذا فقد كان جلجامش متقبلاً فكرة الموت ومتوقعاً له في أي لحظة على الرغم من أن ثلثاه قد خلق من مادة إلهية^(١٣) ولكن الجزء البشري منه جعل الفناء محتماً عليه كباقي البشر. لقد كان جلّ ما يسمو إليه هو الخلود المعنوي، ونجح في ذلك أيما نجاح. لكن هذا الشعور باللامبالاة تجاه القدر المحتوم تحول إلى آخر مغاير فيما بعد. فقد بدأ جلجامش يسعى لنيل الخلود الجسدي. لم يحدث هذا التبدل في نظريته للموت إلا بعد أن عرفه جيداً، وعرف الجانب المظلم منه، كيف لا وقد فقد بالموت أقرب الناس إليه، صديقه أنكيदو، وراقبه يموت متأماً أمامه، ثم ولأنه لم يقتنع بموته لم يقم بدفنه مباشرة حتى رأى جسده يتحلل أمام ناظريه والدود يخرج من أنفه^(١٤) أصبح الخوف من الموت هو هاجسه الوحيد منذ تلك التجربة الأليمة، وطفق يتساءل^(١٥):

هل سأموت أيضاً؟ أو لست مثل أنكيدو؟

وبدا على أثر ذلك رحلة طويلة ومضنية من أجل البحث عن الخلود، رغم محاولة الإله شمش تنبيه عن عزمه مؤكداً له^(١٦):

إلى أين أنت ذاهب يا جلجامش؟

فلن تجد الحياة الأبدية التي تتشدها.

وفي مقطع تالي تخاطبه فتاة الحانة بمصادقية تعبّر بوضوح صارخ عن نظرة العراقيين القدماء إلى الحياة والموت قائلة له^(١٧):

عندما خلقت الآلهة الجنس البشري

فقد قررت الموت للناس.

واحتفظت لنفسها بالحياة الأبدية.

لذا، فاملاً معدتك يا جلجامش.

ليلاً نهاراً متّع نفسك بشتى الطرق،

خطّط لمتعتك كل يوم.

ارقص والعب نهاراً وليلاً،

والبس ثياباً نظيفة.

اغسل رأسك دوماً واستحم بالمياه،

افرح بالطفل الذي تحمله بين يديك،

دع زوجك تمتّع نفسها في حضنك.

ولا شك في أن لهذا المقطع دلالة واضحة، وهي أن العراقي القديم كان يؤمن إيماناً راسخاً بأن على الإنسان أن يستمتع، قدر إمكانه، بالحياة التي يعيشها، وعليه أن لا يضيع وقته في غير ذلك، لأن الموت الذي هو قادم لا محالة سوف يضع حداً لكل متع الحياة. على أية حال فإن جلجامش لم يتمكن من تحقيق مبتغاه، وقد أدرك هو بنفسه ذلك بعد فشله في الاحتفاظ بنبتة تجديد الشباب التي كانت هي كل ما حصل عليه من رحلته^(١٨). لا نود هنا الاسترسال في دراسة شخصية جلجامش وردود أفعاله، بقدر ما نريد استقراراً ردود فعل الإنسان العراقي القديم على الموت وتصرفاته، إزاء الأمور التي تترتب على الموت، من خلال تصرفات جلجامش في الملحمة، وفي الأساطير الأخرى التي يحمل بعض مقاطعها رؤية ما عن موضوع الموت.

هكذا، فإن الحقيقة الأولى التي تتعلق بنظرة العراقيين القدماء عن الموت هي إيمانهم الجازم بحتمية الموت على البشر. وتبدو لنا أحداث ملحمة جلجامش كما لو أن الهدف الرئيس لتأليفها هو تأكيد هذه الحقيقة للجمهور. ذلك أن بطل هذه القصة لم يكن إنساناً عادياً، فقد امتلك قوة خارقة يستطيع أن يقهر بها الوحوش، ولم يتمكن أي إنسان من قهره قط، وكان ملكاً عظيماً، وفوق ذلك، كان يتكوّن في جزء منه من مادة إلهية. وقد سعى لنيل الخلود الحسيّ بكل ما يملك من قوة ونفوذ وإمكانات لا يمكن أن تتوفر لمن

هم دونه شأنًا من الناس. ومع ذلك خاب مسعاه لسبب مهم جداً، وهو أن الآلهة قد قررت الموت على الجنس البشري عندما خلقته، ولأن جلامش كان يتكوّن من مادة بشرية في جزء من خلقه فهو لم يكن مستثنى من ذلك.

العودة للحياة:

لم يؤمن العراقي القديم إطلاقاً بإمكانية عودة الميت بروحه وجسده معاً إلى عالم الأحياء الذي اعتاد عليه قبل موته. ويحتوي الأدب الأسطوري العراقي القديم على أمثلة غير مباشرة توحى باستحالة عودة الميت إلى الحياة الدنيوية. وكان يعتقد بوجود عالم خاص بالموتى يذهب إليه جميع الأموات، وهو ما يمكننا أن نطلق عليه تسمية العالم السفلي، والذي لا يمكن أن يعود منه أحد^(١٩). ومما يؤكد استحالة عودة الإنسان إلى الحياة الطبيعية، هو ما ورد في إحدى أساطير جلامش السورية^(٢٠)، من أجل جلامش يناشد الإله إنكي للتدخل من أجل إطلاق خادمه^(٢١) إنكيو من عالم الأموات الذي أحتجز به، ولم يكن بمقدور إنكي، رغم كونه أحد أكبر ثلاثة آلهة في المجتمع الرافدي، أن يفعل شيئاً أكثر من إحداث ثقب في الأرض لتخرج روح إنكيو فقط دون جسده ولفترة وجيزة، لمقابلة جلامش الذي استقبل تلك الروح بالأحضان.

وقد رأينا في الملحمة كيف أن جلامش كان يأمل في عودة الحياة لصديقه بعد موته فترك جسده كما هو وامتنع عن دفنه لمدة ستة أيام على أمل أن تعود إليه الروح، ولن يقتنع باستحالة ذلك إلا بعد أن رأى دودة تخرج من أنف صديقه المسجى أمام ناظريه^(٢٢). إن استحالة عودة الميت من العالم الآخر، قد انطبقت على الآلهة أيضاً وإن كان بطريقة أكثر غموضاً. فهي إنانا بعد أن تهبط للعالم السفلي، تُحجز هناك فيتدخل إنكي محاولاً إعادتها إلى الحياة، إلا أن عودتها إلى عالم الأحياء لم يكن ممكناً ما لم يحل محلها أحد آخر تختاره هي بنفسها^(٢٣).

ولما شرعت إنانا بالصعود من العالم السفلي،

تصدى لها الأنوناكي

"من من الذين هبطوا للعالم السفلي استطاع أن يصعد سالماً؟

فإن أردت إنانا الصعود من العالم السفلي،

فعلينا أن تقدم بدلاً عنها".

وقبل أن تهبط إنانا إلى العالم السفلي، كانت مدركة للمصير الذي سوف يحيق بها، وهو أن تُحجز هناك. لذلك فهي لم تتردد في توصية وصيقتها بأن تطلب مساعدة الآلهة الكبرى لتتدخل لإنقاذها إن لم تعد من العالم السفلي خلال ثلاثة أيام. وقد كان رد أول من لجأت إليه وهو إنليل، على الوصيقة، سلبياً، فهو يصر على أن شرائع العالم السفلي والتي تقضي بأن من يذهب إلى هناك لا يعود مطلقاً، يجب ألا تتغير^(٢٤).

وحتى عندما يقرر الموت على إله محدّد فإنه يواجه الموت لا محالة. ومهما حاول أن يهرب من مصيره الذي قرره الآلهة لسبب ما، فإن شياطين العالم السفلي، الموكل إليها قبض الأرواح، سوف تقبض عليه حتى وإن ذهب إلى آخر العالم، وحتى إن غيّر من شكله، فبإمكانهم التعرف عليه. وهذا ما حدث لدموزي في نهاية أسطورة "هبوط إنانا للعالم السفلي". فقد كان هو الشخص الذي اختارته إنانا ليقم بدلاً عنها في العالم السفلي. فبعد أن أوحى إليه خلال منامه بأن سوف يموت، يبدأ رحلة الهرب فيختبئ في الحقول بين الزروع، ولكن عفاريت الموت تضغط على أخته لتدل عليه. ولكنه خشية عليها يخرج من مخبئه وينشد إله الشمس (أوتو)، الذي يستجيب له فيحوّله إلى غزال، ومع ذلك تعرفوا عليه فهرب منهم لحظيرة الأغنام حيث أدركوه فيها وقبضوا على روحه بقسوة^(٢٥).

يجب ملاحظة أن الأحداث في الأسطورة السابقة تتعلق بكائنين إلهيين يُفترض أن الموت لم يقدر عليهما تلقائياً كما قُدر على البشر^(٢٦). فإن إنانا هنا أو عشتار في الرواية البابلية، ربّة مخلّدة، ثم أنها نزلت بمحض رغبتها إلى العالم السفلي كما لو أنها

ذاهبة في رحلة ذات هدف محدد^(٢٧)، أي أنها لم تمت بالطريقة التي يعرفها البشر. كذلك لم يُعرف من الأدب العراقي القديم أن أي إنسان مات، قد أفندي بنفس الطريقة التي افتديت بها إنانا. أما دموزي فنزوله للعالم السفلي كان نتيجة قوانين صارمة لذلك العالم، لا يمكن الحياد عنها حتى وإن تعلق الأمر بالآلهة، وكان من سوء حظ دموزي أن يكون البديل الذي اختارته زوجه إنانا لأسباب ليس هنا المجال للبحث فيها.

وهكذا يتبين لنا أن العراقيين القدماء آمنوا باستحالة عودة الميت بجسده إلى الحياة الدنيوية مرة أخرى، لكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون بإمكانية صعود أرواح الموتى دون أجسادها فقط إن أُتيح لها ذلك. ويعتبر المثال الذي استشهدنا به أعلاه والذي يتضمن السماح لروح إنكيكو بالصعود للأعلى استجابة لرغبة سيده جلجامش، كدليل على الإيمان بمثل هذا الاعتقاد. ولعل الإشارة الوحيدة إلى إمكانية خروج الميت إلى عالم الأحياء بجسده، كان في المقطع الذي تهذّب به عشتار بتحطيم أبواب العالم السفلي وإطلاق الموتى حتى يصعدوا ويأكلوا الأحياء^(٢٨). ولكن حتى في هذا المثال، بإمكاننا أن نلاحظ أن هؤلاء الأموات لو أُتيح فعلاً لهم الصعود لعالم الأحياء تنفيذاً لتهديد عشتار، فهم لن يعودوا كما كانوا أناساً أسوياء التفكير طبيعياً الهيئته. فحسب تهديد عشتار فإن هؤلاء العائدين سوف يكونون دون عقولهم التي تميز الإنسان الحي، ويتبين ذلك من العمل الذي كان سيقومون به عند إطلاقهم وهو أكلهم للأحياء من الناس. لذلك فحتى هذا المثال قد يؤكد على الاعتقاد الذي كان سائداً بين العراقيين القدماء، وهو استحالة عودة الميت للحياة بجسده وروحه معاً، لأن العودة للحياة هنا تعني أن يعود الإنسان طبيعياً متمتعاً بكامل مزاياه الإنسانية في شكله وعقله وروحه.

تكمّن أدلة أخرى على إيمان العراقي القديم بإمكانية صعود الروح فقط على هيئة شبح، في مجموعة من النصوص الطقسية، التي تحتوي على معلومات تشير إلى اهتمام العراقيين القدماء بالناية بأرواح الموتى ضمن طقوس يومية وسنوية، حتى يضمنوا عدم صعودها إليهم مسببة القلق لنفسها والأذى للأحياء. بهذه الطقوس التي

تقام عادة في المنازل، حيث يدفن الأموات غالباً تحت أرضياتها، كان العراقيون يعتقدون أن أرواح هؤلاء الأموات كانت، في الواقع، تعيش معهم^(٢٩).

بشكل عام، فقد بينت النصوص بصراحة أن الآلهة لن يلقوا المصير نفسه الذي يواجهه البشر وأن الخلود من نصيبهم. ولكن تأييداً منا لرأي نائل حنون القائل بأن التفكير الأسطوري الشعري قلما يكثر بالتناقض المنطقي العقلي^(٣٠)، فإننا نرى في أن للأحداث التي استشهدنا بها من أسطورتنا "هبوط إنانا للعالم السفلي" و"موت دموزي" دلالة بالغة على إيمان العراقي القديم بحقيقتين رئيسيتين أخريتين تتعلقان بالموت: أولاً أنه عندما يموت شخص فلا يمكنه أن يعود للحياة مرة أخرى، فقد كان تدخل إنكي لإنقاذ إنانا عملاً شاذاً لم يكن أي إله آخر يسمح به. الحقيقة الأخرى هي أن أي شخص محدد يكتب عليه الموت، فلن ينجو منه كيفما تخفى وأينما اختبأ وهذا ما حدث لدموزي.

العالم السفلي:

وعلى الرغم من أن العراقي القديم لم يؤمن، كما بينا، بعودة الميت للحياة الأولى، فهو قد آمن بحياة أخرى يعيشها الميت في عالم آخر، هو عالم الأموات، الذي ظنوا أنه يقع إلى الأسفل من عالم الأحياء، ولذلك يمكن تسميته بالعالم السفلي. وقد أطلق العراقي القديم عليه عدة تسميات وأوصاف في اللغتين السومرية والأكديّة ومن ضمنها "إركلو"^(٣١) التي وردت في عدة مقاطع من الأدب الأسطوري بنفس المعنى، ومثال على ذلك المقطع الذي ورد في أسطورة "هبوط عشتار للعالم السفلي"^(٣٢).

عشتار التي تقيم في إركلو في مقر إركلو، حيث لا يعود من يذهب هناك.

ارتبطت هذه التسمية، إركلو، بوصف آخر هو "طريق اللاعودة"^(٣٣)، ومثال آخر^(٣٤):

إلى البيت المظلم، حيث مقر إركلو، على طريق لا عودة منه.

كذلك يتضح أن هذين المثالين بأن ذلك العالم قد وصف أيضاً بـ "البيت المظلم" (٣٥) في النصوص الأسطورية الأكديّة (٣٦).

حزمت ابنة سن أمرها متوجهة إلى البيت المظلم إلى مقر إركلو.

استخدمت كلمة "أرض" في اللغتين السومرية والأكديّة للدلالة على العالم السفلي أيضاً، فضلاً عن معناها الأصلي "الأرض". ونستشهد بمقطع من أسطورة "هبوط إنانا للعالم السفلي" كمثال على الاستخدام السومري للكلمة لذات الغرض (٣٧):

حزمت إنانا أمرها متوجهة من الأعلى العظيم إلى الأسفل العظيم.

تعبير "الأسفل العظيم" في المثال السابق ليس هو الترجمة الحرفية للكلمة السومرية التي وردت في النص "ك ج ل" فالكلمة تعني حرفياً "الأرض العظيمة" ولكن سياق الحديث في النص كان يدل على عالم الأموات وليس عالم الأحياء، وهو في هذه الحال يقع أسفل الأرض وليس فوقها. وفي الاستخدام الأكدي نورد هذا المثال من ملحمة جلجامش (٣٨).

لما فتح (إنكي) ثغرة في الأرض صعدت روح إنكيديو من العالم السفلي كنفس الهواء.

أستخدمت كلمة أرض في هذا المثال مرتين، في الأولى كانت تعني "أرضاً" بمعناها الشائع ولكن في المرة الأخرى فقد وضّح من السياق أنها لم تكن تدل على شيء غير ما هو واقع أسفل الأرض، أي "العالم السفلي" وخصوصاً من خلال إطلاق الكلمة على المكان الذي صعدت منه روح إنكيديو بعد فتح الثغرة في سطح الأرض نفسها. وفي مثال آخر من أسطورة "هبوط عشتار للعالم السفلي" (٣٩).

هبطت عشتار للعالم السفلي ولم تصعد.

في كل من أسطورتَي "هبوط عشتار" و"رجال وإريشكيغال" الأكديتين، تكرر استخدام الكلمة السومرية المستعارة "كُرُنْجِي" (٤٠).

ما إن هبطت عشتار إلى كرنجي، لم يرطب ثور بقرة، ولم يصب حمراً أثناً.
وأيضاً^(٤١):

سوف أرسلك (يا) كاكّا إلى كرنجي إلى مقر إيريشكيجال التي تقطن في إركلو.
استخدمت كلمة "كور"^(٤٢) في الأسطورة السومرية "هبوط إنانا" لتدل أيضاً على العالم السفلي^(٤٣):

غادرت إنانا السماء، هجرت الأرض، (و) غلى كور هبطت.

إضافة إلى جميع تلك المصطلحات والأوصاف التي تفرد بها العالم الآخر في الأدب الأسطوري العراقي القديم، فهناك تسميات أخرى وردت في نصوص أخرى غير أسطورية، كبعض نصوص التعاويذ السحرية، ومثال على ذلك التعبير "أرّلو"^(٤٤) وهي أيضاً كلمة سومرية مستعارة لبعض النصوص الأكديّة^(٤٥).

لقد جُلبت جنته هو الذي كُتب عليه أن يهبط إلى أرلو.

وهكذا ، بإمكان الباحث أن يلاحظ وفرة التعبيرات والأوصاف التي أطلقها العراقيون القدماء على العالم الآخر، الذي اعتبروه عالماً خاصاً بالأموات يعيشون فيه حياتهم بعد الموت، ولا أمل لهم بالخروج منه ولا أن يعودوا لحياتهم السابقة.

لم يغفل الأدب العراقي القديم عن إعطاء وصف عام للعالم السفلي في أكثر من مناسبة، وهذا الوصف يرتبط إلى حد كبير بأحوال الأموات في ذلك العالم، ومن ذلك نورد مقطعاً آخرًا من ملحمة جلجامش يصف فيه إنكيديو العالم السفلي كما رآه في حلمه، الذي رأى فيه أيضاً أنه مات، ونزلت روحه إلى هناك، حيث بدأ الحديث عن مخلوق أسطوري مخيف اقتاده إلى ذلك العالم^(٤٦):

قبض عليّ وساقني إلى البيت المظلم، مسكن الإله إركلو،
إلى ذلك البيت الذي من يدخله لا يخرج....

حيث طعامهم غبار وشرابهم طين،
وكالطيور يكتسون بالريش،
لا يرون النور ويسكنون في ظلمة.

نرى هنا كيف أن الظلام هو أبرز صفة تميّز ذلك العالم. وليس لدينا شك في أن استحالة الخروج منه لمن دخله ليست سوى كناية عن استحالة عودة الميت للحياة، أو بتعبير آخر عودة الروح لجسدها. وما يلفت النظر في هذا المقطع، هو أن الأرواح هنا لا تحظى بطعام وشراب لاتقين. وهذا النص لا يوضح فيما إذا كان ذلك هو مصير جميع الموتى أم بعضهم لأسباب محددة. ومما يجدر ذكره أن هذا الوصف تكرر في أساطير أخرى، ولكننا استشهدنا به دون غيره لأن به تكملة يُشار بها إلى وجود أرواح بعض عليّة القوم من الملوك، والكهنة فيما تبقى من النص، حيث يتبين أنهم كانوا أفضل حالاً في طعامهم وشرابهم^(٤٧). بقي علينا أن نعلم أن الأموات هناك كان يكسوهم الريش لأمر لا نستطيع الادعاء أننا على دراية به.

الحساب بعد الموت:

يقودنا موضوع الحال السيئ، الذي كان عليه بعض الموتى، حسبما يصفه آخر نص استشهدنا به، إلى التساؤل عما إذا كان هؤلاء قد كانوا يعاقبون لأعمال سيئة قاموا بها مسبقاً قبل موتهم، أم كان لعنائهم سبب آخر. وهذا بدوره يثير تساؤلاً آخرًا عما إذا كان العراقي القديم قد آمن بمبدأ الحساب بعد الموت. ولم يكن من العسير أن يتوصل بعض الباحثين، في دراسات سابقة، إلى أن العراقيين القدماء لم يؤمنوا بوجود محكمة للناس بعد موتهم^(٤٨). فقد لوحظ من خلال النصوص أن مصير روح الميت، ونوع المعاملة التي يتلقاها في العالم السفلي، لا يتوقفان أبداً على عمله الدنيوي سواء أفعّل خيراً أم شراً. وتشير بعض النصوص إلى أن الأموات يعيشون بأرواحهم فقط في ذلك العالم بنفس مراتبهم وطبقاتهم الاجتماعية والاقتصادية التي كانوا عليها في حياتهم

الأولى، ولا تغير أعمالهم الدنيوية شيئاً من هذا الواقع^(٤٩). فالإحسان والخير لن يحسنا من عيش روح فاعلهما في حياته الأخرى، إن كان قد واجه شظف العيش أصلاً في حياته الأولى، ولن تعاني البؤس روح فاعل الشر لهذا السب، طالما أن صاحبها قد عاش حياة الرفاهية في السابق. قد يؤكد ما ورد في حلم إنكيديو، الذي استشهدنا به في هامش رقم (٤٦)، هذا المعنى إلى حد ما، ولكن ناثل حنون، يستشهد بنص آخر يمكن أن تستقى المعلومات منه بشكل أكثر وضوحاً، وهو نص سومري جنائزي يحمل عنوان "موت أورنمو"، الذي سيحتوي على وصف تخيلي لما رآه هذا الملك في عالمه الجديد، حينما نزلت روحه إلى هناك. فقد رأى الملك كيف أن الملوك والكهنة السابقين، قد احتفظوا بمناصبهم وسلطاتهم (على أموات البشر بالطبع)، وقد ذكر من أولئك، بوضوح، اسم جلجامش، الذي كان السومريون يؤمنون بأنه شخصية حقيقية^(٥٠).

وفي نهاية أسطورة "موت جلجامش" السومرية يبدأ جلجامش، عند دخوله للعالم السفلي بعد موته، بتقديم الهدايا لشخصيات محددة: من بينها أسماء آلهة وأخرى يرى كرامر أنها تمثل أسماء بعض الكهنة، الذين كانوا ماتوا قبل فترة وجيزة من وضع/كتابة الأسطورة، ويبدو أن هؤلاء كانوا مجموعة من كبار الكهنة الذين احتفظوا بمكانتهم بعد موتهم، في العالم السفلي، وكانوا شخصيات مبدلة إلى درجة حرص جلجامش على إبداء احترامه لهم على النحو المذكور في الأسطورة^(٥١).

قام جلجامش بن نسون،

بإعداد التقدّمات للآلهة....^(٥٢)

للميت...، للميت سنغو،

المخو، أيننتو

البشيشو

تعد خاتمة شريعة حمورابي^(٥٣) أحد الأمثلة الواقعية على عدم إيمان العراقي القديم

بوجود عقوبة أخروية يواجهها الإنسان بعد موته. ففي هذه الخاتمة يدعو حمورابي الآلهة إلى صب اللعنات على من يقوم بمحو قوانينه، وإبطال أحكامه. فقد سطر حمورابي هنا عشرات اللعنات، جميعها دنيوية، بما في ذلك الموت المفاجئ. ومن الأمثلة على تلك العقوبات: تجريد المعاقب من الملك، إضرار الثورات ضده، إصابته باليأس والويل، الإقصار من عمره وجعل أيامه المعدودة أيام ظلام وقحط، وتخريب مملكته ومدنه، محو ذكره في البلاد، تجريده من الحكمة والمعرفة، طمر أنهاره وبنابيعه - إرسال الفيضانات المدمرة على بلاده، تحطيم قوة جيشه وأسلحته في القتال، - تقويض أركان مملكته، تسليمه إلى يد أعدائه، إفناء شعبه، إصابته بالوباء الخبيث وبالمرض الذي لا شفاء منه. نرى أن جميع تلك العقوبات التي دعى بها حمورابي على من يريد كانت تقع في حياة الإنسان وليس بعد موته. وكانت من بينها دعوات بالموت مثل: "أن يجعل أيامه قليلة العدد" و "أن يموت فجأة" وأن "تنساب روحه انسياب الماء" و "أن تأتي عليه كلمة شمس المهلكة سريعاً فتقتله من بين الأحياء في الأعلى" و "عسى أن يلغنه إنليل باللعنات المؤكدة حتى تقضي عليه في الحال". وتعدّ هذه الدعوات التي تدعو بالموت على الملعون هي الأقسى بين جميع تلك الدعوات الأخرى، رغم ما تبدو عليه تلك من قساوة. ونرى في اللعنة النهائية التي يقول فيها: "وأن يظل يندب حياته حتى تنتهي، أفضل إشارة على أن العقاب الحقيقي كان هو عقاب الدنيا، وأن ذروة تلك العقوبات كان الموت، ولا شك في ذلك. فالموت بالنهاية هو هادم اللذات.

ولكن حسب هذا المنطق، فإنه بإمكان الشر أن يسود على الخير، طالما أن المسيء لم يكن ليخشى حساباً ترضه عليه قوة عليا، أو يخاف عقاباً ينتظره حال موته. إن صحّ ذلك، فإن نظرة العراقيين القدماء كانت أقرب إلى النظرة العبيثية للحياة وجدواها، وهذا قد يبدو صحيحاً إلى حد ما، بالنظر إلى الأسباب التي اعتقدوا أن الآلهة قد خلقت الإنسان من أجلها، وهي خدمة الآلهة فقط.^(٥٤) فالبشر هنا خدم ليس لهم حقوق، وحينما

يتمتعون بامتيازات معينة أو ينجون من كارثة مدمرة أو يعمهم خير وفير، فإن ذلك لم يحدث لأن أياً من ذلك كان حقاً لهم بقدر ما كان رغبة إلهية أو مكرمة من أحد الآلهة الصديقة المحبة للإنسان.^(٥٥) كذلك كان اللوم يقع دوماً على الإنسان بشكل عام ودون تحديد عند وقوع الشر، وذلك قد يكون منطقياً نوعاً ما إذا علمنا أن إحدى الأساطير الأكديّة تردّ الإنسان في خلقه إلى مادة فاسدة، ألا وهي دم وحش أسطوري هزمه الإله الذي خلق الكون. حسب هذه النظرية التي أبرزها عالم الأديان المقارنة، إلياد، نفترض أن العراقي القديم كان يؤمن بأن الإنسان شرير بطبعه مهما يفعل خيراً، وأنه ملام منذ أن خلق بسبب المادة التي خلق منها،^(٥٦) وبذلك يتساوى فاعل الخير مع فاعل الشر في نهايتها القاسية، وهي الموت. فالموت هنا هو أقصى عقوبة يمكن أن ينالها الإنسان، أما الحياة الأخرى فهي ليست سوى استمرار لحياته الأولى ولكن في عالم آخر مختلف تماماً عن سابقه. إذًا، ليس للأعمال التي قام بها الإنسان في دنياه أي تأثير على حياته في العالم الآخر.

إذا لم يكن هناك ثواب وعقاب أخروي، فهل يعني ذلك أن الإنسان العراقي كان معفى من أية التزامات تجاه الآلهة وتجاه المجتمع الذي ينتمي له؟ بالطبع لا، فقد آمن العراقي القديم بوجود هذا المبدأ في حياته الدنيوية التي كانت في نظره هي أساس الحضارة والتقدم، وهي المجال الواسع الرحب الذي يستحق البذل فيه والعمل من أجل النجاح والازدهار فيه. هذا لعالم لا يمكن أن يضاهيه أي عالم آخر، حتى وإن كان العالم الآخر الذي يُعتَبَر، لا محالة، مستقبل الإنسان وليس له أن يهرب منه. ولكن هذا العالم المستقبلي كان غامضاً مبهماً. وبالرغم من كل المحاولات الأدبية الشفوية التي بذلت في سبيل سبر أغواره، فقد ظلّ هناك شك في مصير الإنسان فيه. ويدل على ذلك الطقوس التي كان يقوم بها العراقي القديم من أجل تحقيق الراحة لأرواح أمواته في عالمهم الآخر، وهو موضوع سوف نتحدث عنه أدناه.

لقد كان العراقي القديم، كما بينّا، قانعاً بحياته الأولى مكتفياً بها، كنصيب له من العالم الذي ينتمي له، ذلك أنه كان شخصاً عملياً يحب الحياة المتوفرة له ويحاول الاستمتاع بها قدر استطاعته. لذلك فقد كان جل ما يُثاب عليه الإنسان هو أن تطيل الآلهة في عمره، مع قدر وافر من صفاء العيش الذي يتمثل في التمتع بالصحة الموفورة والحصول على مساعدة الآلهة وحماتها عند الخطر والمركز الاجتماعي والثروة وكثرة الأبناء، وغيرها من أمور دنيوية. أمّا أكبر عقاب يناله فهو الموت. وإذا جاء الموت مبكراً أو مفاجئاً فذلك يعني أن العقاب كان شديداً. وكدر الحياة بجميع أوجهه كان يُعدّ عقوبة إلهية أيضاً.^(٥٧)

إذاً فقد كان ذلك هو الثواب والعقاب، فما الذي كان يُحاسب عليه العراقي القديم لينال أياً من تلك النتيجتين؟ تشير أسطورة خلق الإنسان بنصيبها السومري والآكدي إلى أن الآلهة قد قامت بخلق الإنسان من أجل خدمتها فقط. ويعني ذلك بأن عمل الإنسان الرئيس هو خدمة الآلهة، ومن ثمّ فمن لا يخدم الآلهة فهو قد أخطأ بحققها وبالتالي استحق عقابها. ولقد فهم من تلك الأسطورة ما يجب على الإنسان أن يؤديه للآلهة من خدمات، كأن يقوم بإعداد طعامهم ومسكنهم وجميع احتياجاتهم، التي لا تختلف عن حاجات الإنسان في شيء. ويستطيع الباحث أن يستشعر أن في الأسطورة رغبة غير مباشرة في حثّ الإنسان على بذل الجهد المحمود في إعمار الأرض، ولا شك لدينا في أن ربط هذا العمل بخدمة الآلهة ليس سوى أداة تحفيز لهمة الإنسان. لكن الإنسان العادي البسيط، والذي يمثل النسبة الأكبر في المجتمع قديماً وحديثاً، فهم ذلك بشكل حرفي، واعتبر بناء المعابد والاهتمام بصيانتها والذبح لآلهتها، خدمة للآلهة، وساعد على شيوع هذا الفهم استفادة كهنة تلك المعابد من تلك الممارسات، بسبب ما كانوا يحققونه من تنامي في ثرواتهم ونفوذهم الروحي، الذي تطور لاحقاً إلى سلطان مادي. لقد أدى تسنّم الكهنة على رأس السلطة أحياناً إلى المبالغة في فرض الضرائب على الناس. وربما كان ذلك بحجة إجبارهم على أداء فرائضهم تجاه الآلهة. ولعلّ ذلك

ينطبق على الوضع الذي ساد خلال الحكم الجائر للكهنة الذي سبق حكم الحاكم المصلح أورو-كاجينا في لجش، قرب نهاية عصر فجر السلالات السومري.

لقد فجر الإصلاح الذي قام به أورو-كاجينا،^(٥٨) معاني وقيماً جديدة تهم المجتمع الإنساني ككل. وبدأ الإنسان يحرص عليها أيضاً لإرضاء الآلهة. لا يعني ذلك بالطبع أن العراقي القديم لم يكن يعرف تلك القيم قبل إصلاح أورو-كاجينا، ولكن بالنسبة لنا، فإن هذا الإصلاح يمثل أقدم دليل نصّ على ذلك. بل إن محتوى نص هذه الوثيقة يدلّ على شيوع مثل تلك الأعمال الإصلاحية في السابق، وأنه اعتمد على نماذج سابقة عليه في التاريخ العراقي القديم. يشير هذا الإصلاح بوضوح إلى أن الحاكم قام بإنصاف المظلومين و المستضعفين في مجتمعه، حيث انتزع لهم حقوقهم، من قبضة الحكام الكهنة. كما قام على الجانب الآخر بردع الأقوياء عن ظلمهم. إن ما يهمنا من ذلك هو أن أورو-كاجينا قد قام بهذه الإصلاحات بناءً على رغبة الآلهة. فعمل القوي للخير تجاه المستضعف، إذًا، يُعدّ استجابة لرغبة الآلهة يستحق عليها الثواب. تتكرر مثل هذه الإشارات في جميع القوانين والشرائع العراقية القديمة التي تلت ذلك الإصلاح، بما في ذلك شريعة حمورابي. بناءً على ذلك أصبح الفوز برضى الآلهة، حسب معتقد العراقي القديم، بهدف استحقاق ثوابها وتجنب عقابها لا يكون بخدمتها طقسياً فحسب، بل يتعداه لعمل الخير تجاه الناس الآخرين.

بما أن مفهوم الحساب لدى العراقيين القدماء كان ذا طابع دنيوي، فقد أبعدنا الحديث عنه عن موضوعنا الرئيس المتعلق بالموت. ولولا أن الموت هو أشد عقاب يمكن أن يواجهها المذنب لما اعتبرناه ذا علاقة بموضوع البحث. ولعل من الملائم أن نبحث في موضوع المصير الذي يتعرض له الميت في ذلك العالم الغامض المظلم.

مصير الميت:

لقد كان في الوصف الذي بدر عن أنكيديو للعالم السفلي كما رآه في حلمه، إلقاء لبعض الضوء على نظرة العراقي القديم لمصير الميت فيه^(٥٩). وفي أكثر من أسطورة تطلق عشتار تحذيراً مرعباً إن لم يُستجب لطلبات محددة لها قائلة^(٦٠):

سوف أقيم الموتى، وسيلتهمون الأحياء،

وسيفوق عدد الموتى عدد الأحياء

لم يكن ذلك بالطبع وصفاً حميداً لأرواح الموتى، ولم يبذ أن عشتار قد فرقّت بين الموتى في ذلك، فحديثها كان معمماً على الجميع. يبدو لنا هنا أن الأموات لم يكن لديهم عقل أو أنهم لا يفكرون بشكل سليم كالأحياء، وإلا لما سعوا لأكل لحوم البشر الأحياء. الوصف الذي ورد في أسطورة "جلجامش وإنكيديو والعالم السفلي" قد يؤكد فكرة غياب العقل عن هؤلاء. إن ما يهمننا من هذه القصة بعض المقاطع ذات العلاقة لموضوع البحث، وأولها المقطع الذي يضع فيه جلجامش محاذير أمام إنكيديو عندما عزم الأخير على النزول طوعاً للعالم السفلي، من أجل إحضار أدوات تخص سيده^(٦١):

إذا ما نزلت للعالم السفلي....

لا تلبس ثياباً نظيفة....

لا تتطيب،

كيلا يتجمعوا عليك جراء الرائحة.

لا ترم عصا الرماية،

لكيلا يطوقوك.

لا ترفع عصا بيدك،

لكيلا ترفرف حواليك أشباح الموتى.

لا تلبس في قدميك نعلًا،

لكيلا تحدث ضجيجاً.

لا تقبل زوجتك التي تحب،

ولا تضرب زوجتك التي تكره....

يتضح لنا من هذه النصائح أن العالم السفلي، حيث تعيش أرواح الموتى، لم يكن عالمًا طبيعيًا والحياة فيه لا تشبه حياة الأحياء، وأن على الحي الذي يذهب إلى هناك ألا يتصرف تصرف الأحياء، لكيلا تحيط به أرواح الأموات وتأخذه إليها. إن فكرة تزاخم أرواح الموتى حول الأحياء تذكرنا بقصص الرعب الحديثة، التي بلا شك قد أخذ فكرتها من الأساطير اليونانية التي بدورها تأثرت بأدب الشرق الأدنى القديم. وقد يكون هناك إحياء في النص الذي استشهدنا به بأن تكالب الأموات بهذا الشكل على الشخص الحي كان سيؤدي إلى موته. قد يفهم ذلك من خلال العقاب التي ألمت بإنكيديو بعد أن خالف نصائح جلجامش^(٦٢):

وعندما أراد إنكيديو الخروج من العالم السفلي...

قبض العالم السفلي عليه.

وجزع جلجامش لذلك وذهب عند الآلهة متوسلاً لديهم أن يعيدوه، ومحتجاً على طريقة حجزه في ذلك العالم، بأنه لم يمت موتاً طبيعيًا. فهو لم يقتل في صراع عادي، وكان الإله إنكي هو الوحيد الذي استجاب لتوسلات جلجامش ولكن بقدر محدود، فهو لم يسمح بعودة إنكيديو من ذلك العالم إلا بروحه فقط، وذلك يعني أن إنكيديو قد مات فعلاً بفصل روحه عن جسده، وفصل الروح عن الجسد هو أهم علامة تميز الموت لدى العراقي القديم.

وعند لقاء جلجامش بروح إنكي دو طرح عليه التساؤلات ذات دلالة بالغة فيما يتعلق بحال أرواح الموتى في العالم السفلي. تعبّر هذه التساؤلات عن قلق عميق تجاه مصير الإنسان بعد موته، يبيد السائل الذي هو بلا شك يتجاوز جلجامش إلى مؤلف الأسطورة خصوصاً، والإنسان العراقي القديم عموماً. ولم تكن إجابة إنكي دو، كما يبدو لنا على الأقل، تبدي تفاؤلاً تجاه المصير^(٦٣):

إن أخبرتك عن أحوال العالم السفلي وكيف وجدته

يجب أن تجلس (و) تبكي، وسأجلس أنا وأبكي!

[لزوجتك] التي لمست وسرّ قلبك،

تأكلها الحشرات الضارة [مثل رداء قديم.

[وابنك الذي] لمست وسرّ قلبك،

[يجلس في شق] يعلوه الغبار.

يشير هذا المقطع إلى مصير بائس تعرض له شخصان مقربان جداً لشخصية كانت تحظى باحترام وتقدير شديدين في الأدب العراقي القديم، كشخصية جلجامش، وهما زوجه وابنه، رغم عدم وضوح ارتكابهما لأعمال تضر بهما، إضافةً إلى أنهما كانا ينتميان لطبقة الملوك التي يفترض أن أرواح أفرادها سوف تحافظ على مستواها الاجتماعي في العالم الآخر. قد يوحي هذا المقطع بأن روح الميت سوف تعاني البؤس في العالم السفلي في جميع الأحوال. لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك فيما تبقى من إجابات إنكي دو لسيده عن حال أرواح الموتى في ذلك العالم، فهو يتحدث عن أرواح تأكل الخبز النظيف وتشرب المياه النقية^(٦٤)، ويبدو هنا نوع من التناقض حول هذا المصير قد يعكس غموضاً والتباساً في ذهن الإنسان العراقي القديم حول هذا الموضوع، ولكن المقطع الأخير من هذه الأسطورة يكاد يكون حاسماً في إعطاء فكرة أكثر وضوحاً عنه^(٦٥):

رأيت، ذلك الذي رأيت أنت جسده ملقى في العراء،

روحه لا ترقد (بسلام) في العالم السفلي.

رأيت، ذلك الذي رأيت أنت، الذي لا أحد يموّن روحه،

فهو يتغذى من بقايا الطعام وفتاة الخبز الملقى في الشوارع.

نفهم من هذا الحديث وبشكل مباشر أن من لم يُوار جسده التراب بعد موته وتُترك جثته ملقاة فوق سطح الأرض، فإن روحه ستقلق ولن تستقر في العالم السفلي المخصص للموت، وستظل تهيم، في العراء، ما لم تُدفن. أمّا الروح التي لا تتلقى تمويناً كافياً من طعام وشراب من أهل صاحبها الأحياء، فإنها لن تحصل إلا على أسوأ أنواع الطعام والشراب في مئوّاها، وهذا يقودنا إلى موضع هام يتعلق بطقوس الموتى عند العراقيين القدماء. إذاً فهناك أمران قد يؤديان إلى إقلاق الروح ومعاناتها بعد الموت وهما: عدم دفن الميت أولاً وثانياً عدم الاهتمام بتوفير الطعام والشراب له^(٦٦)، وهو ما سوف نتحدث عنه في الأسطر اللاحقة.

كان الاعتناء بدفن الموتى وإقامة طقوس معينة لخدمة أرواحهم، من أبرز المهام التي حرص العراقي القديم على أدائها إلى جانب خدمة الآلهة، وتمثلت هذه العناية بعملين رئيسيين، الأول: هو دفن الميت والآخر: أداء بعض الطقوس اليومية من بينها تزويده بالطعام والشراب وتقديم القرابين للآلهة. فيما يتعلق بالدفن، فقد كان العراقي القديم يخشى انتقام أرواح أقربائه الذين لم يؤد لهم مراسم الدفن كما يجب وذلك لإيمانه بأن هذه الأرواح لن تستقر في العالم السفلي، حيث ينبغي لها أن تكون. وهذا القلق لتلك الأرواح قد يؤدي بها إلى أن تحوم حول الأحياء من أقربائها، وتسبب لها الأذى كنوع من الانتقام لعدم اهتمامهم براحتها. فسكنة روح الميت وراحتها هنا تعتمد بدرجة رئيسة على بقاء الجسد مستقراً في موضعه تحت الثرى. إذاً فالضرر في حال عدم الدفن يقع على الطرفين، الميت وأهل الميت. كما أن نبش القبر بعد دفن الميت يُعدّ

عملاً شيئاً وقد يؤدي إلى عواقب تغير الجميدة لروح الميت، ونقدي هنا يستلزم جنون الذي استشهد به نطق التاريخي بؤيد هذا الاعتقاد وهو عبارة عن تخطيط لأحد الملوك الآشوريين ويوضح مدى اهتمامه بدين. أخذ قاعدته للمقربين متواذلاً ملين يعطيك علس إقلاقه وهو مضطجع بالويل والتبور^(٧٦). ويبدو من ذلك أن نبش القبور قد يضرب بملك الأرواح، ولعل حرص الجيوش في التاريخ العراقي القديم، على نبش قبور أعدائهم يعبر عن ذلك. بل إن هذه الجيوش وخصوصاً في العصر الآشوري الحديث كانت لا تعطي فرصة للأعداء لدفن موتاهم عن طريق جمع جثثهم في أكوام وجعلها كذلك لمدة طويلة^(٧٨).

كان العمل الرئيس في شعائر الموت، هو القيام بتزويد الميت بطعام والشراب يومياً حتى لا تلجأ روحه إلى الخزرج لعالم الأحياء، بخنا عن الفضلات لتفقات عليها. ولقد رأينا في بعض النصوص التي استشهدنا بها أعلاه، أن بعض أرواح الموتى كانت تاكل التراب وتشرّب الطين، وفي خاتمة شريعته دعا حمورابي بالظما على من يعمل على محو قوانينه^(٧٩). ويبدو أن العراقي القديم كان يحرص أشد الحرص على أداء تلك الشعائر، حتى لا يخرج أرواح موتاه على هيئة أشباح مؤذية إلى عالم الأحياء^(٨٠)، وحتى يضمن وجوداً من يقوم بذلك، من أجله، بعد موته لكيلا تعاني روحه هو بعد موته من تلك الأوضاع البائسة، التي تتعلق بخدمة أرواح الآخرين بسد جوعه وظمائه. ونرى هنا أيضاً أن الهدف من إقامة تلك الشعائر ليس لخدمة أرواح الآخرين كالأسلاف فحسب، بل أيضاً لضمان الحصول على مساعدة الآخرين كالأبناء مثلاً، عن طريق احترام تلك الشعائر من خلال التراحم والتواصل بين الأجيال.

يتوصل فان دير تورن، من خلال قراءته لملمحة جلجامش، إلى أن أداء مثل تلك الشعائر كانت يومية كما كان يفعل جلجامش لأروح والده يومياً، ويبرر عدم ذكر تلك الشعائر كثيراً في النصوص الغير أسطورية، هو أنها كانت شعائراً عادية جداً ومألوفة بحيث لا تعد شيئاً يستحق الذكر^(٨١). كذلك توصل هذا الباحث من خلال بعض

نصوص التعاويذ، إلى عدة أمور أخرى تتعلق بتلك الشعائر من بينها، أن الابن الأكبر هو من كان يقود تلك الشعائر، وهي من واجبات الابن البار، وتقام عادة في المنزل حيث يُدفن الموتى أسفل أرضيته، ولكن عند الضرورة يمكن أن تقام في أي مكان آخر كما اضطر لفعله جلعامش لروح أبيه لأنه كان في حالة الترحال^(٧٢).

خاتمة:

وصفوة القول أن نظرة العراقي القديم لظاهرة الموت وما يترتب عليها تتلخص بما يلي:

١- آمن العراقي القديم بحتمية الموت بالنسبة إلى البشر مهما طال بهم الأمد، ونحن نرى ذكر أسماء أشخاص ذوي أهمية وملوك ينسب إليها أنها عاشت لفترة طويلة تصل لآلاف السنين في أحد المصادر التي عُرفت باسم سجلات إثبات الملوك^(٧٣) ومع ذلك فقد كان نهاية هؤلاء هو الموت في نهاية المطاف حسب نفس المصدر. وقد كان رجل الكوخ (زيوسدرا) هو الكائن البشري الوحيد، في نظر العراقي القديم، الذي استثنى من ذلك المصير وكتب له الخلود كالآلهة.

٢- من يُكتب عليه الموت في وقت محدد ولسبب محدد فلن يستطيع الفكاك منه مهما حاول أن يفعل ولو كان إلهاً، وذلك ما انطبق على تموز عندما اختارته زوجته إنانا ليهيبط بدلاً عنها للعالم السفلي.

٣- لم يؤمن العراقي القديم بإمكانية عودة الميت للحياة، فمما أن تنفصل الروح عن الجسد فلن يكون بإمكانها أن تعود إليه مهما حدث. بل إن ذلك قد ينطبق على الآلهة إلى حد كبير مع بعض الاستثناءات وتحت قيود وقوانين مشددة، كما رأينا في حال إنانا (عشتار).

٤- لم يؤمن العراقي القديم بوجود حساب بعد الموت يُثاب بموجبه المحسن ويُعاقب المسيء، بل كان الإنسان يُثاب بما يحب خصوصاً بإطالة عمره مع تمتعه بالصحة الموفورة ويُعاقب بما يكره وخصوصاً بالموت، خلال حياته الدنيوية. وكان يظن أن روح الميت سوف تهبط للعالم السفلي بنفس المرتبة الاجتماعية التي كان عليها في حياته الأولى.

٥- اعتقد العراقي القديم أنه بعد أن تنفصل الروح عن الجسد، تذهب لتقيم في عالم مخصّص لإقامة الموتى أطلق عليه عدة تسميات وأُتفق على أنه يقع في أسفل سطح الأرض، لذا فهو يُسمّى العالم السفلي.

٦- يتصف العالم السفلي، في نظر العراقي القديم، بالظلام الدائم وتبدو فكرة العراقي القديم عنه غامضة ومبهمة نوعاً ما.

٧- يتعدّى هذا الغموض حول عالم الأموات إلى الفكرة عن حالهم فيه، فالنصوص تصور وضعاً باتساً لبعض الأموات وضعاً مريحاً للبعض الآخر دون وضوح سبب مباشر في نفس تلك النصوص في كثير من الأحيان.

٨- تؤكد بعض النصوص على اعتقاد العراقي القديم بأن أرواح بعض الموتى تعاني من القلق والظما وعدم الراحة والاستقرار لسببين واضحين هما: عدم دفن الميت والآخر عدم إقامة شعائر يومية له تتمثل في تزويده بالطعام والشراب اللازمين لغذاء روحه في مستقره أسفل الأرض.

قائمة بالاختصارات

المرجع السابق.

[illegible]

الحواشي

(١) **نص الحديث:** "أكثرُوا من ذكر هادم اللذات: بمعنى "مزيل اللذات" أو "هادم اللذات"، بمعنى "قاطع اللذات". وفي الحالتين فالتعبير يدل على "الموت" انظر جلال الدين السيوطي "الجامع الصغير"، ٢، رقم ١٣٩٦.

(٢) حول أسطورة بعل وموت انظر — حداد وس. "مجاصص" أناشيد البعل، بيروت، ١٩٩٥، ص ٨٠ و٨١.

C.H. Gordon *the Loves and Wars of Baal and Anat*, Princeton. 1943; and J.C. de Moor. SP, 1971.

(٣) لعل أول من نزع لهذا النمط من التفكير هم الطبيعيون الميتاسيون، عن هؤلاء وعن هذا التفسير انظر بروهييه (مترجم ج. ط. ابشبي)، تاريخ الفلسفة ج ١ (٨)

[illegible]

(٤) اللغة السومرية كانت هي لغة النصوص الأدبية السائدة في الألف الثالث ق.م. بينما أصبحت اللغة الأكديّة وهي لغة مشرقية قديمة، لغة تلك النصوص الرئيسية خلال الألفين الثاني والأول ق.م. ولذلك تعتبر النسخ السومرية هي النموذج الأقدم لأي أسطورة عراقية قديمة.

(٥) تم كتابة ملحمة جلجامش في الألف الثاني والأول ق.م. علماً بأن الاعتقاد السائد هو أنها قد ألفت في وقت سبق ذلك بكثير ، والنسخة المتوفرة حالياً كتب معظمها باللهجة الآشورية الحديثة، بينما كتب بعض مقاطعها باللهجة البابلية القديمة والكتابات هما للخطن اللغة الأكديّة. ونظراً لأهمية هذا العمل من الناحية الأدبيّة ومن ناحية المواضيع التي تحتويها، إضافة إلى كونها أقدم عمل أدبي متكامل، فقد اهتمت الأمم الحديثة بترجمة الملحمة إلى لغاتها الحديثة بما في ذلك اللغة العربيّة،

وتعد ترجمة طه باقر (ملحمة جلجامش، بغداد ١٩٨٦) هي أبرز الترجمات العربية لها.

(٦) انظر ي. تشريني (مترجم: أحمد قدرى) الديانة المصرية القديمة، القاهرة، ١٩٩٦، ١٢٢-١٣١.

(٧) اهتمام النصوص الأدبية ذات الطابع الديني أكثر من غيرها بموضوع الموت هو أمر طبيعي، فالموت ظاهرة يومية اعتاد عليها الناس إلى درجة إهمال ذكره في النصوص العملية التي دوماً يكون لها اهتمامات أخرى، اقتصادية أو إدارية أو سياسية.

(٨) انظر ص. كريمر (مترجم: طه باقر)، من ألواح سومر، بغداد، ١٩٥٦، ٢٥٨.

(٩) اخترنا إحدى أحدث الترجمات المباشرة عن لغة الملحمة الأصلية وهي:

S. Dalley, *Myths from Mesopotamia*, Oxford, 1991, 39-153؛ انظر أيضاً الترجمة العربية (نجوى نصر) لهذا الكتاب س. دالي، أساطير متن بلاد ما بين النهرين، بيروت، ١٩٩٧، ٦٥-١٨٩.

(١٠) حول هذا المقطع والذي يليه، انظر: *Ibid* ١٤٤.

(١١) انظر ص. كريمر، م.س.، ٢٩٤؛ كذلك: S.N. Kramer, *ANET*, 1969, 48.

(12) *Ibid.*, 50.

(13) S. Dalley, *Op. Cit.*, 51.

(١٤) يقول جلجامش في هذا المقطع: "بكيته ليل نهار، ولم أسمح بدفنه. ألم يكن باستطاعة صديقي أن يقوم من الموت عند سماعه لصوتي؟ سبع ليال وسبعة أيام، حتى سقطت دودة من أنفه". انظر *Ibid.*, 104.

(15) *Ibid.*, 95.

(16) *Ibid.*, 149.

(17) *Ibid.*, 150.

(١٨) فنزل إلى الماء واغتسل. ثم تنشقت أفعى أريج النبتة. فانسلت بهدوء وأخذت النبتة. وبينما حملتها ورحلت، خلعت جلدها المحرشف. وعليه جلس جلامش وبكى". انظر *Ibid.*, m 108-109.

(١٩) تعبير "العالم السفلي" ليس هو الترجمة الحرفية لجميع التعبيرات السومرية والآكدية الدالة على عالم الأموات. ولكنه الوصف الأبلغ والأعم لهذا المكان سوف يتبين لنا، في معرض حديثنا عن أوصاف هذا العالم، أدناه.

(٢٠) أسطورة "جلامش وإنكيو وعالم الأموات". انظر ص. كريم، م. م. س. ٣٢٤-٣٣٠. S.N. Kramer, SM, Philadelphia. 1961, 34-37.

يوجد أيضاً نسخة أكديّة لهذه الأسطورة ولكن ألحقت بنهاية أسطورة جلامش بما لا يتفق مع السياق العام لها، انظر *S. Dalley, OP.Cit.*, 120ff.

(٢١) ظهر إنكيو في هذه الأسطورة كخادم لجلامش في نسختها السومرية والآكدية رغم أنه كان يوصف كصديق ونذ له في معظم أحداث ملحمة جلامش يسبر ص. كريم (م. س. ٤٠ و S.N. Kramer, *Op.Cit.*) ذلك بأن التحوير بين الشخصين حدث في مرحلة لاحقة على يد الكاتب البابلي لمحملة جلامش.

(٢٢) انظر الهامش ١٤ أعلاه.

(٢٣) من الأسطورة السومرية "هبوط إنانا للعالم السفلي". انظر م. س. ٢٦٣-٢٧٩. لهذه الأسطورة نسخة أكديّة ولكن يغيب عنها حدث رجوع الربة (وهي عشتار في اللغة الأكديّة) إلى عالم الأحياء.

(٢٤) S. N. Kramer, 1969, II . 180-192, pp55-56.

(٢٥) تصف الأسطورة هذا الحدث كالتالي: "دخل العفريت الأول الحظيرة، طعنه على خده بمسمار ثاقب،... وضربه الثاني على خده بمحجن الراعي... لن يعيش دموزي بعد ذلك، حظيرة الغنم في مهب الريح، لقد مات دموزي". انظر ص. كرامر (مترجم: نهاد خياطة)، إنانا ودموزي، نيقوسيا، ١٩٨٦، ١٨٢-١٨٣.

(٢٦) لم ير ص. كرامر (١٩٥٦، ٣٢٣)، عمل هبوط الآلهة أو النكيدو إلى العالم السفلي، طوعاً على أنه موتاً ولكنه احتجازاً فرضه آلهة العالم السفلي عنوة على هؤلاء. يتفق مع هذه الرؤية نائل حنون (عقائد ما بعد الموت، بغداد، ١٩٨٦، ٥٦-٥٧) الذي يلاحظ أن موت إنانا في الأسطورة السومرية لم يكن يعني أكثر من شل قدرتها على الحركة التي سرعان ما عادت إليها بمجرد رش ماء الحياة على جسدها. كذلك يرى نائل حنون (م.س. ٤٦-٤٨) أن مقتل الآلهة في أساطير الخليفة لم يؤد إلى فنائهم بشكل مطلق بل ظلوا موجودين وممثلين بعناصر الكون الرئيسية.

(٢٧) يرى نائل حنون (م.س. ١٩٨٦، ٦٧) أن الغموض ما زال يكتنف الأسباب التي دعت إنانا (عشتار) للهبوط طوعاً إلى العالم السفلي. في هذا الصدد يراجع ص. كرامر (١٩٨٦، ١٥٨) أن إنانا (عشتار) كانت تطمح لأن تصبح ملكة العالم السفلي إلى جانب الأعلى العظيم.

(٢٨) ورد هذا التهديد على لسان عشتار بضعة مرات وفي عدة مناسبات من ضمن ذلك وعيدها لحارس بوابة العالم السفلي في الأسطورة الأكديّة "هبوط عشتار للعالم السفلي". انظر نص هذا المقطع أدناه في معرض حديثي عن مصير الميت.

الميت. كذلك انظر S. Dalley, *Op. Cit.*, 155.

- (٢٩) عن هذا الموضوع انظر أدناه في معرض حديثنا عن مصير الميت.
- (٣٠) انظر نائل جنون، م.س. ٧٥-٧٦.
- (31) CAD7, 177-178.
- (٣٢) ينتمي هذا المقطع إلى نسخة أكديّة أقدم من النسخة التقليديّة للأسطورة وتعود للعصر الآشوري الوسيط. انظر LKA 62r. 13f.
- (٣٣) ورد هذا في السياق في النصوص الأكديّة بنسخها الآشورية الحديثة، التعبير لا يت ج ا ر ت بمعنى "لا عودة" وهي كلمة آراميّة مستعارة ج ا ر ت "يحضر من، يعود". انظر CAD7, 325.
- (٣٤) ظهرت هذه العبارة في أكثر من أسطورة أكديّة. انظر S. Dalley, *Op.Cit.*, 89. 155, and 168.
- (٣٥) انظر ترجمة الكلمة الأكديّة (آشورية حديثة)، أي ط و بمعنى "يصبح مظلماً" في: CAD4, 412.
- (36) Dalley, *Op.Cit.*, 155.
- (37) N. Kramer, 1961, 118, n.87.
- (38) Dalley, *Op.Cit.*, 123.
- (39) *Ibid*, 158.
- (40) CAD8, 564.
- (41) Dalley, *Op.Cit.*, 155 and 158.
- (42) *Ibid*, 176 and 168.
- (٤٣) حول المعاني المحتملة لكلمة "كور" السومرية انظر لكل من: S.N. Kramer, 1961, 13, 37f., and 76; Th. Jacobsen, *The Treasure of Darkness*, London, 1976, 53; and S.N. Kramer and J. Maier, *Myths of Enki, the Crafty God*, Oxford, 1989, 82-83.

(44) S.N. Kramer, 1961, 118, n, 87.

(45) *CADI*, 226.

(46) S. Dalley, *Op.Cit.*, 88.

(٤٧) يقرأ المقطع الخاص بعلية القوم كالتالي: "ونظرت إلى البيت الذي دخلت، فرأيت
التيجان مكومة... أولئك المتوجين الذين كانوا قد حكموا الأرض في الأزمنة
الماضية. أعدّ كهنة أنو وإنليل اللحوم المطهية بانتظام وحضروا الخبز ومياه
القرب الباردة. في بيت الغبار الذي دخلت، كان يسكن كهنة إينو ولكار... إلخ".
Ibid, انظر

(٤٨) نائل حنون، م.س. ١٣٥.

(٤٩) م.س. ١٤٥.

(٥٠) م.س. ١١٥.

(51) S. N. Kramer, 1969, 51.

(٥٢) ذكر في النص عدد كبير من أسماء الآلهة ليس هنا المجال لكتابتها، أما الأسماء
التي وردت في باقي الأسطر فهي التي تخص الكهنة حسبما يعتقد كرامر: *Ibid*,
51, n, 24.

(٥٣) فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، ١٩٨٧، ١٦٨-١٧٤؛ و Th. J.
Meek, *ANET*, 1969, 177-180.

(٥٤) اتفقت أساطير خلق الإنسان السومرية والأكديّة على أن الآلهة خلقت الإنسان
ليخدمها. عن الأساطير السومرية حول هذا الموضوع انظر فراس السواح،
مغامرة العقل الأولى، نيوقسيا، ١٩٨٦، ٤٥-٤٩. كذلك انظر A. Heidel, *The
Babylonian Genesis*, London, 1963, 46-53 عن أسطورة الخلق البابليّة

التي يوجد بها مقطع عن خلق الإنسان والدافع لذلك.

(٥٥) اشتهر كل من إله المياه إنكي (إيا) وإله الشمس أوتو، بانحيازهما، لصالح الإنسان في كثير من المناسبات لإنقاذه من شر خطط له الآلهة مسبقاً، من ذلك قيام إنكي بالبوخ لرجل الكوخ بالطوفان الذي خطط له الآلهة لإغراق البشرية. انظر ص. كرامر، ١٩٥٦، ٢٥٠-٢٥٩.

(56) M. Eliade (Trans.: W.R. Trask), *A History of Religious Ideas I*, London, 1979, 72-73.

(٥٧) انظر: جورج رو (مترجم: ح.ع. حسين)، العراق القديم، بغداد، ١٩٦٣، ١٤٣-١٤٦.

(٥٨) عن إصلاح أورو-كاجينا انظر: طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة: الوجيز في تأريخ حضارة وادي الرافدين، بغداد، ١٩٨٦، ٣٢١-٣٢٢؛ وفوزي رشيد، م.س.، ١٠-١٥.

(٥٩) انظر هامش ٤٦ أعلاه.

(٦٠) انظر هامش ٢٨ أعلاه.

(٦١) انظر كرامر، ١٩٥٦، ٣٢٤-٣٣٠؛ و: S.N. Kramer, 1961, 34-37.

(٦٢) م.س.، *Ibid*.

(٦٣) م.س.، *Ibid*.

(٦٤) يقول إنكيو هنا: "رأيت والد الاثنين (من الأبناء) يأكل خبزاً وهو جالس على قمرميتين، ورأيت والد الثلاثة يشرب الماء من قربة جلدية... إلخ". انظر S, Dalley, *Op.Cit.*, 124. ومما يجدر ذكره أن هذا المقطع لم يرد إلا في النسخة الأكديّة من القصة التي ألحقت بنهاية أسطورة جلجامش. من هذا النص يُفهم أن

- البعض كان يحصل على طعام وشراب جيدين ولكن السبب لا يبدو جلياً.
- (٦٥) م. س. ٣٢٤-٣٣٠؛ و S.N. Kramer, 1961, 34-37. (٥٥)
- (٦٦) حول هذا الموضوع انظر كل من نائل حنون، م. س. ٢٣٠-٢٣١؛ و K. Van der Toom, *Family Region Babylonia, Syria, and Israel*, Leiden, 1996, 48-62.
- (٦٧) نائل حنون، م. س. ٢٣٠.
- (٦٨) H.W.F. Saggs, *The Might that was Assyria*, London, 1984, 261ff.
- (٦٩) فوزي رشيد، م. س. ١٧٢.
- (٧٠) نائل حنون، م. س. ٢٨١.
- (٧١) K. Van der Toom, *Op.Cit.*, 49.
- (٧٢) *Ibid.*, 48, 52, and 58-62.
- (٧٣) عن هذا المصدر ، انظر طه باقر، م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٤) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٥) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٦) *Ibid.*, ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٧) *Ibid.*, ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٨) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٧٩) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٠) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨١) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٢) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٣) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٤) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٥) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٦) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٧) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٨) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٨٩) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٠) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩١) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٢) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٣) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٤) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٥) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٦) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٧) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٨) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (٩٩) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.
- (١٠٠) م. س. ٢٨٩-٣٠٣.